

طايي رتيبة
جامعة الجزائر
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

الصراع الثقافي
وتأثيره على هوية الشباب الجامعي
في المجتمع الجزائري

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع " الصراع الثقافي وتأثيره على هوية الشباب الجامعي في المجتمع الجزائري"، والذي يهدف إلى إثبات ما مدى حقيقة تعرض الشباب الجامعي للإصابة بأزمة الهوية في ضوء تلك الظروف المعاصرة الراهنة التي يعيشها المجتمع الجزائري في ظل عصر العولمة، الذي تعرف فيه الشعوب العربية الإسلامية بخاصة تهميشا متزايدا لثقافتها المحلية وغزو واختراق النماذج الثقافية الغربية المختلفة لفضائها الثقافي المحلي الخاص.

وهو ما تسبب، من جانب آخر، في تعميق حدة الصراع الثقافي على مستوى هذه المجتمعات العربية عامة وعلى مستوى المجتمع الجزائري بصفة خاصة، والذي، كأى مجتمع معاصر، لا يمكن له أن يكون منعزلا ومنعزلا عن ما يحدث في عالم اليوم من تغيرات وتطورات.

ومنه فقد أظهرت نتائج هذا البحث حقيقة جوهرية تكمن في ثبوت إصابة الطلبة الشباب، الذين يتمتعون على وجه التحديد إلى معهد الصيدلة العلمي، بأزمة الهوية باعتبارهم في ذلك قد انسلخوا عن هويتهم الثقافية الأصلية وتبنوا في مقابلها الهوية الثقافية الغربية، وهذا ليس بفعل تأثير طبيعة المعهد ذاته عليهم، وإنما يرجع العامل الحقيقي المؤثر إلى حد كبير في إصابة هؤلاء الطلبة الشباب بأزمة الهوية إلى تأثير نمط التنشئة الاجتماعية الحضرية الغير السوية والصالحة عليهم والتي تلقوها في إطار ذلك النسق العائلي.

Résumé

Cette recherche traite le thème de « conflit culturel et son impact sur l'identité des jeunes universitaires dans la société Algérienne », dont l'objectif principal est de confirmer si réellement la catégorie des jeunes étudiants est atteinte de crise identitaire à l'époque actuelle de la mondialisation qui est devenue une réalité incontournable, et dans laquelle l'espace culturel spécifique aux monde arabe musulman subit une conquête et transgression par de différentes modes culturels occidentaux, ce qui a entraîné d'autre part et de façon aigue un conflit culturel au niveau de ces sociétés et en particulier dans la société Algérienne.

En conséquence on a aboutit aux résultats qui indiquent que les jeunes étudiants -en particulier- ceux de l'institut de pharmacie sont les plus atteint de crise identitaire, dans ce sens les jeunes étudiants se sont dépouiller de leurs identité culturelle authentique, et ils ont adoptés en revanche l'identité culturelle occidentale, ainsi que l'institut n'est pas comme étant un facteur d'influence dans l'engendrement de crise identitaire chez les étudiants, et cela parce qu'il existe un autre facteur d'influence occulte qui consiste en le mode de socialisation urbaine incorrecte et invalide qu'a subit ces étudiants au sein de cette institution familiale.

إن مبدأ التغير ينطبق على جميع الظواهر الاجتماعية والطبيعية، حيث يعتبر التغير الاجتماعي من المجالات الهامة التي يهتم بدراسة علم الاجتماع ذلك لأنه يعبر عن حقيقة ديناميكية المجتمع، فقد استرعت اهتمام علماء الاجتماع خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ظاهرة التغير التي أصابت الجماعات والأنظمة الاجتماعية من حيث تطورها بشكل أو بآخر في جميع الأزمنة والمواقع الجغرافية، وبما في ذلك تغير أنماط الثقافة والبناء الاجتماعي.

هذا وعلى الرغم من أن بعض المجتمعات تبدي مقاومة نحو التغير أكثر من غيرها إلا أنه لا يستطيع أي مجتمع أن ينجح في منع وكبح جماح هذا التغير، فمعدل وطبيعة واتجاه التغير الاجتماعي تختلف بشكل كبير من مجتمع لآخر وذلك نظرا لاختلاف ثقافات المجتمعات، فنحن نعيش في عالم متغير تحدث فيه التغيرات بصورة سريعة حيث يصعب التحكم فيها أو تعديلها⁽¹⁾.

وعليه فقد أصبح الحديث اليوم في بداية هذا القرن الجديد عن واقع لا مفر منه يتجسد في ظاهرة العولمة، باعتبارها مظهرا من مظاهر التغيرات العالمية السريعة الحاصلة التي ترتب عنها تبلور نظام عالمي جديد قوامه هيمنة قطب رأسمالي واحد، فالعالم كله يخضع اليوم لتوجه وحيد هو توجه رأسمالي على مستوى النظام الاقتصادي وإمبريالي على مستوى العلاقات الخارجية الاقتصادية، السياسية، الثقافية، إذ تصبو الإمبريالية إلى الهيمنة والاستحواذ بدافع المنفعة⁽²⁾.

وبهذا فإن العولمة تشكل حالة من تلك الرأسمالية الحديثة التي أحدثت ثورة صناعية جديدة بإنجازها العلمي والتكنولوجي الضخم، حيث أرسى منطق التجارة نمط الحياة المادية في كل من المجتمعات النامية والمتقدمة، الفقيرة منها و الغنية على حد سواء⁽³⁾، فيما يعني ذلك أن العالم نفسه قد تعوم ودشن وفقا لذلك عهدا جديدا من التحولات والتطورات على مستوى كامل الأصعدة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، وتبعاً لذلك بات الأفراد، على وجه الخصوص، في المجتمعات العربية أكثر إطلاعا على العالم الغربي الذي يقع ما وراء حدودهم القومية، والتالي أكثر إدراكا للتفاوت العالمي والفرص المتاحة والرفاهية في وسائل العيش.

والجدير بالتنويه، ضمن هذا الإطار، أن العولمة لم تحدث ثورة في الاتصالات بشتى أنواعها فحسب ونما يتعدى ذلك إلى إحداثها ثورة في الأفكار لكونها قد بدلت الكثير من الأفكار والمفاهيم والمسلّمات القديمة والتقليدية السائدة، وخلقت ثقافتها الخاصة التي

تروج لها عبر مختلف وسائل الإعلام والاتصال كمادة جاهزة للاستهلاك، فهي بذلك تعمل على تكريس منظومة جديدة من القيم النفعية والفردانية والأنانية وكذا التزعة المادية⁽⁴⁾.

بيد أنه وإن كانت العولمة قد سهلت الاتصال والتواصل بين ثقافات مختلف مجتمعات العالم إلا أنها تحمل أهدافا خفية تستتر وراء شعار التكنولوجيا والمعلوماتية، باعتبارها ترمي إلى عولمة حضارة أو ثقافة بعينها هي الثقافة الغربية أو الحضارة الغربية، وذلك من خلال سعيها إلى إضعاف القدرات الثقافية للشعوب قصد التمكن من دمجها في النمط الغربي ثم استيعابها بشكل يفقدها خصوصياتها، وهنا تبرز الخطورة التي تمثلها العولمة بالنسبة لهوية الشعوب وبشكل أخص الشعوب العربية والإسلامية التي تعتبر أكثر الشعوب استهدافا⁽⁵⁾.

حيث أنها تعرف تهميشا متزايدا لثقافتها المحلية وغزو واختراق النماذج الثقافية الغربية المختلفة لفضائها الثقافي المحلي الخاص وذلك في ظل الانفتاح الإعلامي الاتصالي الواسع الذي فرضته العولمة، وهو ما تسبب، من جانب آخر، في تعميق حدة الصراع الثقافي على مستوى هذه المجتمعات العربية عامة وعلى مستوى المجتمع الجزائري بصفة خاصة، والذي كأى مجتمع معاصر لا يمكن له أن يكون مغلقا

ومنفصلا عن ما يحدث في عالم اليوم من تغيرات وتطورات، فهو يعيش تفاعلات العولمة وتأثيراتها السلبية عليه وتحديدا على نمطه الثقافي الأصلي الذي يوجد في حالة صراع مع تلك الأنماط الثقافية الغربية المتعارضة معه والتي تعرف لها رواج كبير في هذا العصر، إذ يشهد المجتمع الجزائري اختراقا كبيرا لقيم و معايير وأفكار وسلوكات وأنماط حياة جديدة غربية ودخيلة عنه، التي تفرض وجودها عليه حتى يتبناها أعضاؤه الأفراد كمرجعية ثقافية جديدة غير تلك التي ينتمون إليها أصلا وينتهي بهم الأمر تبعا لذلك إلى الانفصال عن هويتهم ونكران الذات في سبيل الانتساب إلى الآخر.

وعلى هذا النحو فإن تلك التغيرات ذات المنشأ الخارجي التي تمخضت عن ظاهرة العولمة تعتبر بمثابة ظاهرة مرضية وغير سوية، وذلك نظرا لما ترتب عنها من اضطرابات وإختلالات أصابت توازن النظام الاجتماعي العام و استقراره الذي يقوم مقام المجتمع، هذا ويعتبر الشباب من أكثر الفئات الاجتماعية تأثرا وحساسية بتلك التيارات الفكرية والثقافية المتصارعة في النسق الاجتماعي العام الذي هو عضو فيه، وذلك لكونه يعد من أكثر الفئات العمرية تقبلا لكل ما هو جديد، وباعتباره قضية ومرحلة مليئة بالتغيرات التي يغلب عليها طابع عدم الاستقرار والتوتر والصراع، وفضلا عن ذلك فإن الشباب يتسم بازدواجية دوره المتناقض الذي يلعبه فهو من جهة يظهر كمحرك فاعل ونشط في التغير الاجتماعي ومن جهة أخرى هو في أغلب الأحيان ضحية لهذا التغير⁽⁶⁾.

ومن هذا المنظور فإن تواجد هذه الفئة الشابة أمام واقع جديد ومتغير يتصف ببنية ثقافية متناقضة وغير منسجمة بحيث تتضارب وتتصارع في ظلها الأنماط الثقافية الغربية والنمط الثقافي المحلي الجزائري، يؤثر عليها لا محالة في تكوين هويتها واستقرارها، إذ تفقد إثر ذلك القدرة على تحديد انتمائها الأصلي إلى مجتمعتها الثقافية الوطنية المرجعية مما يجعلها بذلك عرضة للإصابة بأزمة الهوية، هذا ويكون تعرضها لذلك ممكنا وميسورا لكون أن هذه الفئة العمرية تمثل فترة محاولة وخطأ يحاول من خلالها الشباب البحث عن ذاته لاكتشافها وتحديد دورها في العالم، خاصة وأنه من الخصائص الفريدة للشباب هو التعبير عن هويته و تأكيدها.

وفي تطبيق ذلك على الواقع الاجتماعي فإن تعرض تلك الفئة الشابة لأزمة الهوية يؤدي إلى نشوب اختلال في توازن و استقرار المجتمع الذي تنتمي إليه، وذلك نظرا لأن هذه الفئة قد انسلخت عن هويتها الأصلية و أضحت تشعر بالاغتراب عن الذات التي هي جزء منها، بحيث أنها لم تعد تؤدي دورها الوظيفي في ذلك النسق الاجتماعي العام، الذي تعد في إطاره تلك الفئة الشابة بمثابة الوحدات الأساسية التي يتوقف عليها المحافظة على استمرار واستقرار هذا البناء الاجتماعي وذلك من خلال التفاعل الاجتماعي فيه عن طريق قيامها بدور اجتماعي وظيفي محدد ومتساند، ويشبه ذلك إلى حد كبير قيام أعضاء الكائن العضوي بوظائف خاصة بكل عضو حسبما تؤكد عليه النظرية الوظيفية للمفكر الاجتماعي " تالكوت بارسونز" (T.Parsons) في دراسته للنظام الاجتماعي.

ويضاف إلى ما تقدم أن الهوية لا يتوقف تشكيلها عند فترة زمنية محددة بل هي تستمر في التبلور على ضوء التغيرات التي تطرأ على البنية الاجتماعية و الثقافية للمجتمع، وكذا التجارب الجديدة التي يكتسبها الشباب في حالة دخوله إلى مجالات اجتماعية جديدة والتي تكون مكملة أو مغايرة للمجال الذي سبقها ولها معاييرها واتجاهاتها الخاصة بها، وينطبق الأمر في ذلك إلى حد كبير على الجامعة باعتبارها مجالا اجتماعيا واسعا ومثابة نسق تربوي وثقافي واجتماعي والذي يتحمل جزء غير يسير في عملية التغير الاجتماعي والتطور.

وبناء عليه فإن الجامعة لا تستطيع أن تعيش بمعزل عن روح العصر الذي تطبعه ظاهرة العولمة، وعن مجريات تلك التغيرات المتعددة الأبعاد التي أفرزتها العولمة والحاصلة على مستوى ذلك النسق الاجتماعي العام والتي هي جزء لا يتجزأ منه، نذكر منها بخاصة التغيرات ذات البعد التكنولوجي الاتصالي و الثقافي المتسارعة في تغيراتها والمتعارضة في نتائجها والسلبية في آثارها.

ومن هذا المنطلق فإن الجامعة لن تخلو من ذلك الصراع الثقافي الذي يشيع في المجتمع الكلي، إذ هي في ذلك تمثل مجتمعا جامعيًا مصغرا له ثقافته الخاصة قائم بذاته ويحتوي على عدد من الممارسات والاتجاهات الثقافية المتنوعة، الغريبة منها والمحلية، بما فيها الإيديولوجيات المتناقضة والمتصارعة، أضف إلى ذلك ما للجامعة من مهمة خطيرة تقوم فيها بصياغة الشباب الجامعي فكرا ووجدانا وفعلا وانتماء، يحدث ذلك في الوقت الذي ينظر فيه الشباب إلى الجامعة كماوى يجد فيه الأمن والأمان والطمأنينة والمكان المناسب لتكوين في إطاره اتجاهاته واكتشاف مشاعره ومعنى حياته⁽⁷⁾.

وعلى الجملة فإن الجامعة تفتح للشباب المجال الواسع للتعبير عن هويته كيفما يشاء بدون أدنى قيود تذكر، وهو ما يجعل بذلك من الشباب الجامعي الذي يعيش في ظل أجواء الحياة الجامعية تلك، بكل ما فيها من متغيرات ومثيرات وصراع ثقافي، الأكثر قابلية للإصابة بأزمة الهوية.

وعلى هذا النحو يفرض بنا هذا الحديث المستفيض إلى طرح التساؤلين العالقين في ذهننا، واللذين تقتضي الإجابة عليهما بأسلوب سوسيولوجي علمي محض وهما على الشكل التالي:

- أ- هل يمكن أن يكون طبيعة المعهد ذاته، الذي يدرس و يتفاعل في إطاره الطلبة الشباب، بمثابة عامل أساسي مولد لأزمة الهوية عند طلبته المنتمين إليه؟
- ب- من هي الفئة من بين الشباب الجامعي التي تعاني أكثر من غيرها من أزمة الهوية ولماذا؟

- فرضيات البحث:

وانطلاقا من الإشكالية السابقة استخلصنا الفرضيات الموالية:

- أ- لطبيعة المعهد أو القسم الذي يدرس ويتفاعل فيه الطلبة اتجاهات فكرية وثقافية متعارضة ومتصارعة مما يؤدي إلى إصابتهم بأزمة الهوية.
- ب- تعتبر تلك الفئة الشابة الجامعية التي خضعت لتنشئة اجتماعية غير سوية وصالحة، ضمن النسق العائلي، من أكثر الفئات الشابة الجامعية معاناة وإصابة بأزمة الهوية.
- ج- للأصل الجغرافي الذي ينحدر منه أولياء الطلبة الشباب أثر في إصابتهم بأزمة الهوية من عدمها.

إن ما نستهدف الوصول إليه من وراء تناولنا لموضوع البحث هذا بالدراسة السوسيولوجية ذات الطابع العلمي، هو اكتشاف حقائق جديدة فيما يتعلق بتحديد الواقع الذي تعيشه تلك الفئة من الشريحة الشابة التي تتمتع بمستوى تعليمي عالي في ظل عصر العولمة الذي ازداد فيه المجتمع الجزائري تعقيدا وتركيبا وتباينا في بنائه الكلي، نتيجة لتلك التغيرات المتسارعة والتحولات المتعددة الأبعاد التي أفرزتها العولمة، حيث تمخض عن هذه الأخيرة آثار سلبية تنحصر أهمها في اختراقها للخصوصيات الثقافية للشعوب العربية وهذا حتى تفقدنا مرجعيتها وتسهل بذلك عملية استيعابها.

باعتبار أن ظاهرة العولمة أضحت تمثل خطرا يهدد هوية مجتمعاتنا العربية بالدوبان والانسلاخ، ومن هذا المنطلق فإننا نصبو بشكل أوضح إلى إثبات ما مدى حقيقة تعرض الشباب الجامعي للإصابة بأزمة الهوية في ضوء تلك الظروف المعاصرة الراهنة التي يعيشها المجتمع الجزائري.

وعلاوة على ذلك فإننا نسعى، من جانب آخر، إلى التعرف على تلك العوامل الحقيقية المؤثرة بشكل أو بآخر في إصابة هؤلاء الطلبة الشباب بأزمة الهوية، على أساس أنه لن نتم فقط في هذا البحث بوصف الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة، بقدر ما يهمنا التفسير العلمي لأسباب وجودها طالما أن البحث العلمي في كافة حالاته هو في صميمه بحث في المجهول، وذلك عملا بقول الباحث "غاستون باشلار" (G.Bachelard) " لا علم إلا فيما اختفى".

- منهجية البحث:

إن طبيعة موضوع البحث وخصوصياته وبحكم الدراسة التي هي ميدانية قد فرض علينا استخدام المنهج الكمي لمعالجة موضوع بحثنا هذا وكشف حقائقه، وفهم العوامل المؤثرة فيه بما فيها استيعاب تناقضاته وملابساته وجمع البيانات الموضوعية وتحليلها، كما استعنا أيضا بالمنهج الكيفي بغية ترجمة وتفسير المعطيات الإحصائية سوسيولوجيا.

هذا و نظرا لطبيعة المنهج الكمي المتبع كان لزاما علينا، وحسبما تقتضيه الضرورة المنهجية، انتقاء تقنية الاستمارة من بين كل تقنيات البحث السوسيولوجي الأخرى، حيث استخدمناها كواسطة وهزمة وصل بيننا وبين المبحوثين، وكأداة رئيسية لجمع المعطيات والبيانات الحية من مجال البحث، والتي قمنا بتفريغها وترميزها ثم تحويلها إلى معطيات إحصائية مثبتة في جداول قابلة للتحليل وتزويدنا بالنتائج النهائية للبحث الميداني.

نشير بادئ ذي بدء إلى أن المجال الجغرافي الذي أجرينا فيه بحثنا هذا ينحصر في جامعة الجزائر، ولكون طبيعة الموضوع المدروس يستلزم المعاينة للحصول على البيانات المطلوبة قمنا باستخراج عينة من المجتمع الكلي، باعتبارها نموذجاً مصغراً يحمل خصائص مجتمع البحث، والتي نسعى من خلالها للتوصل إلى نتائج محددة ذات دقة قصوى وقابلة للتعميم على المجتمع المستخرجة منه.

وعليه فإن مجتمع البحث يشمل الطلبة الشباب الذين يدرسون بمعهدي الصيدلة والأدب العربي بجامعة الجزائر، إذ تعمدنا اختيار كلا المعهدين، علمي وأدبي، وهذا لأهمّا يفان بأغراض الدراسة في تحديد مدى تأثير طبيعة المعهد ذاته على الطلبة في إصابتهم بأزمة الهوية، وذلك بناء على اختلافهما وما يتميز به كل معهد من ميزات خاصة باللغة الأكاديمية التي تلقن بها البرامج والمقررات الدراسية والمحيط السائد بالمعهد ككل، وبهذا فقد استخرجنا من مجتمع الطلبة عينة بحثنا المقدرة بحجم 200 مبحوث، حيث تتراوح الفئة العمرية لوحدها ما بين 20 إلى 24 سنة.

- الإطار النظري للبحث:

- خصائص الشخصية الشابة:

إن الشباب يشكل شريحة عمرية محددة بيولوجيا، نفسيا، اجتماعيا، ومن خلال هذا التحديد نجدها تتميز ببعض الخصائص التي تجعلها تختلف في طبيعتها عن مراحل الشخصية السابقة واللاحقة لمرحلة الشباب، وأكثر هذه الخصائص أهمية وبروزا هي أن تحدد بفترة عمرية محددة تعتبر من أهم الخصائص التي تميز الشخصية الشابة، بحيث تحدد هذه الفترة بالمدة الكائنة بين اكتمال النضج الفسيولوجي وبداية التأهيل والنضج الاجتماعي، وهو النضج الذي يتحقق باحتلال الشباب لمكانة اجتماعية محددة يؤدي من خلالها أدوارا ترتبط بهذه المكانة.

وفي ضوء ذلك يتميز الشباب عادة بأن لديه نزعة إلى الاستقلال و محاولة التخلص من الضغوط وألوان القهر المسطرة عليه من أجل توفير حرية التعبير عن الذات، ونتيجة لهذه النزعة إلى الاستقلال و الاعتماد على الذات يتميز الشباب بأنه أكثر راديكالية و أقل رغبة في الامتثال للسلطة المفروضة عليه، كما تتميز الشخصية الشابة بالدينامية وذلك لسببين أساسيين يرجع السبب الأول: إلى أن فترة الشباب عادة ما تكون هي الفترة الكائنة بين مرحلي الإعداد والقيام بدور فعال في بناء المجتمع، ولذلك فغالبا ما تتميز ملامح الشخصية الشابة بالغموض لأنها ما زالت في مرحلة التشكل، وهو ما يجعل منها شخصية مليئة بتفاعلات قلقلة ومتوترة لأنها تسعى وراء الاستقلال وشغل الدور في المجتمع.

بينما يكمن السبب الثاني: في دينامية هذه المرحلة إلى طبيعة التكوين البيولوجي والفسيولوجي والوضع الاجتماعي للشخصية الشابة، بحيث نجدها تكون عادة حساسة لكل ما هو جديد لكونها لم تستقر بعد، والذي من شأنه أن يجعلها في شوق دائم للتغيير على اعتبار أن الشباب هو أقل ارتباطا بالواقع القائم وأكثر قابلية على استيعاب التغيرات المتجددة، ونؤكد هنا على دوره في مقاومة السلطة التقليدية للشيوخ وذلك لأنه يعد عاملا أساسيا في إحداث التغير الاجتماعي⁽⁸⁾.

- وظائف التنشئة الاجتماعية:

تتولى عملية التنشئة الاجتماعية وظيفة التشكيل الاجتماعي للفرد منذ ولادته ذلك لأن الإنسان يولد كمخلوق يعتمد على غيره وغير مالك للقدرات الاجتماعية التي تؤهله للتعامل مع بني جنسه، بحيث يتحول في إطار عملية التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها من كائن بيولوجي حيواني إلى كائن إنساني اجتماعي يملك المؤهلات الإنسانية والاجتماعية التي تجعل منه عضوا ناضجا اجتماعيا، فيما يعني ذلك بعبارة أخرى أن الفرد لما يولد يتعلم الأنماط السلوكية التي يتميز بها محيطه الاجتماعي، بما في ذلك الخبرات والمهارات والمعايير والقيم الاجتماعية السائدة فيه والتي يتم نقلها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، بحيث يمكن الحصول من خلالها على نوعية الفرد الذي نريده وبناء الاتجاهات الاجتماعية التي يرغب المجتمع في نقلها إلى الأجيال وذلك باعتبار أن الطفل يعد صفحة بيضاء عند ولادته يمكن كتابة ما نريد عليها.

ومن وظائف التنشئة الاجتماعية أيضا أنها تحقق التكيف الاجتماعي للفرد مع محيطه، على أساس أنه بواسطة التكيف الاجتماعي يستطيع الفرد الاستجابة لمطالب المجتمع الذي يعيش فيه كعضو اجتماعي سليم، هذا فمما لا شك فيه أن الفرد يتلقى مجموعة من النماذج الثقافية في المجتمع الذي هو عضو فيه، وتعد هذه النماذج بمثابة الإطار الذي يستمد منه الفرد هويته، حيث تعمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية على نقل هذه النماذج الثقافية إلى الفرد مع ضمان، من جانب آخر، المحافظة على هويته في مجتمعه، وهنا تبرز وظيفة أساسية أخرى للتنشئة الاجتماعية تنحصر أساسا في بناء الهوية⁽⁹⁾.

وقد أكد الباحثون، ضمن هذا السياق، على الدور الاجتماعي للأسرة في كونها مؤسسة تنشئة اجتماعية فعالة في تشكيل هوية أفرادها، فالوسط الأسري يحظى بأهمية كبيرة في اكتساب الفرد للأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تسمح له ببناء هويته الفردية وكذا الاجتماعية مما يؤدي به ذلك إلى الاندماج اجتماعيا، على اعتبار أن الأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع والجال الاجتماعي المنسجم والمتجانس القائم على مجموعة من العلاقات الاجتماعية المرتبطة بنسق محدد من القيم والمعتقدات التي توجه الأنماط السلوكية في المجتمع

عامة، ومن هذا المنطلق فإن تشكيل الهوية وتبلورها يبدأ أول ما يبدأ في داخل الأسرة فهي التي تقدم لأفرادها أولى القيم والمعايير التي يعتمدون عليها في توجيه سلوكها كمهم الاجتماعية⁽¹⁰⁾.

- تعريف الثقافة:

إن التاريخ يشهد بأن كلمة الثقافة قد ظهرت سنة 1700 باعتبارها كلمة قديمة في القاموس الفرنسي، فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية (Cultura) والتي تحمل في طياتها عدة معاني نذكر منها العناية المعطاة للحقول والمواشي، ومعنى قطعة أرض مزروعة، ثم سرعان ما أصبحت كلمة ثقافة توظف بمعنى التكوين والتربية الخاصة بالفكر، بحيث أنها أخذت معاني أخرى وهي: الفعل التعليمي، حالة الفكر المثقف من خلال التعليم، أو حالة الفرد الذي لديه ثقافة⁽¹¹⁾.

هذا ويعود الفضل إلى مؤسس الأنثروبولوجيا البريطانية المفكر " إدورد برنت تايلور" (E.B.Taylor) في إعطائه لأول تعريف للثقافة والذي يعرف فيه الثقافة على أنها: ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف، المعتقدات، الفن، الأخلاق، القانون، التقاليد وكل القدرات التي يكتسبها الفرد باعتباره عضو في المجتمع.

ويبدو هذا التعريف واضح وبسيط وذلك لأن " تايلور" أراد في ذلك أن يكون وصفيًا و موضوعيًا، بحيث أنه قد إهتم بتفسير تطور الثقافة وعالميتها في كتابه المعنون بـ " primitive culture 1871"، كما أنه قد تساءل فيه عن أصول الثقافة وآليات تطورها، فقد كان أول باحث إثنولوجي إهتم بالفعل بدراسة الثقافة في مختلف أنماط المجتمعات من كل جوانبها المادية منها والرمزية بل وحتى الجسمانية، فبالنسبة " لتايلور" إن الثقافة هي ذلك التعبير الكلي لحياة الإنسان الاجتماعية والتي تتميز ببعدها الجماعي، وبذلك فإن الثقافة حسبها هي مكتسبة وليست مورثة بيولوجيا⁽¹²⁾.

ومنه فقد عرف مفهوم الثقافة عدة تعريفات على اختلاف الباحثين وذلك نظرا لما يكتسبه البعد الثقافي من أهمية بالغة في تفسير الاختلافات ما بين الجماعات والمجتمعات بصفة عامة، هذا وقد قام الباحث " وليام أو جبران" (W.Ogbrun) بتعريف الثقافة على أنها: كل ما يشمل على الأشياء والنظم الاجتماعية والطريقة التي يسير عليها الناس في حياتهم⁽¹³⁾.

وجاء في تعريف الباحث " رالف بدنجتون" (R.Piddington) أن الثقافة: هي مجموعة الأدوات المادية والفكرية التي يستطيع بها الشعب إشباع حاجاته الحيوية والاجتماعية وتكييف نفسه لبيئته.

بينما يعرف الباحث "روبرت لوي" (R.Lowie) الثقافة بأنها: مجموع كل ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه، أي المعتقدات والتقاليد والنماذج الفنية والعادات المتعلقة بالغذاء والحرف التي تصل إليه لا عن طريق فعاليته الإبداعية بل كميراث من الماضي ينقل إليه بالتعليم العفوي أو المنظم⁽¹⁴⁾.

- نظرية الأنماط الثقافية:

إن الباحثة "روث بندكت" (R.Benedict) ركزت أبحاثها على دراسة الأنماط الثقافية المختلفة حيث جاء عنها أن كل الثقافات تتحدد من خلال نمط أو أسلوب معين، فهي جد مقتنعة من فكرة خصوصية كل ثقافة والتي تعرفها على أنها: ذلك الكل المتجانس والمتلاحم الذي يميل إلى التكامل⁽¹⁵⁾.

ومن هذا المنطلق فإن الباحثة "بندكت" تعتبر أن نمط الثقافة إنما يكون له رد فعله العميق في تركيب سمات الشخصية التي قد تضطرب وتهتز، على أنه في ذلك قد يطرأ تغيير على محتوى الشخصية خلال إحتكاك الفرد بالآخرين وأثناء عملية تكيفه مع نمط الثقافة التي يعيش فيها، على أساس أنه قد تنحل الشخصية وتتفكك بحيث تعاني اضطرابا وتوترا نتيجة لعدم التكيف الثقافي، مما يؤدي إلى إحداث خلل في التوازن تحت وطأة أنماط الثقافة والذي يكون له صداه في سيكولوجية الفرد وأثره في التركيب الدينامي للشخصية.

واستنادا إلى ذلك تظهر بصورة جلية تلك الصلة الدينامية التي تربط الفرد بنمط ثقافته حيث تظهر تحت وطأة الثقافة بعض الانحرافات التي تخلق الشخصية الغير السوية، وعلى سبيل المثال لا الحصر يتعرض الياباني في جزر هاواي لاضطرابات سيكولوجية واجتماعية كالانحرافات في المزاج والكآبة والشعور بالاغتراب، وهي أمراض لا تصيب الياباني الذي يعيش في وطنه و ثقافته الأصلية فقد جاءت كرد فعل لتأثير سمات الثقافة الدخيلة على شخصية الياباني الغريب نظرا لانتمائه لنمط ثقافي ياباني له خصوصياته.

وعليه فإن الأنثروبولوجيا الثقافية تؤكد على تعددية الثقافات بدلا من أحادية الثقافة وترى أنه من الضروري أن يتم دراسة أنماط الثقافات كمجموعات محددة مستقلة الواحدة عن الأخرى وطبقا لمنطقها الداخلي الخاص بها، على اعتبار أن هناك اختلافات ثقافية ما بين المجتمعات الإنسانية فإذا كان الإنسان حيوان اجتماعي فإنه، من جانب آخر، يعتبر حيوان أو كائن ثقافي بحيث يخضع لنمط خاص من أنماط الثقافة الذي عليه التكيف كلية معه و اكتساب سماته في إطار مجتمعه⁽¹⁶⁾.

تتعرض الهوية إلى أزمات واضطرابات تختلف درجة حدة خطورتها حسب الظروف والتحديات المختلفة التي تواجهها وكيفية التفاعل معها، ومن بين هذه الأزمات نذكر غموض الهوية الذي يتعرض له الفرد حيث يطرح على نفسه عددا من الأسئلة المنحصرة أساسا في: من أنا؟ من نحن؟ ومن هم؟، والتي يصعب عليه الإجابة عليها عندما تختفي بعض خصوصيات أو مميزات الهوية، وذلك نظرا لاختفاء بعض القيم والمعايير الاجتماعية التي تعتبر أدوات الحكم على الفعل قصد التمييز بين السلوك السوي والسلوك الشاذ، ويظهر هذا الأمر جليا حين نحل محل هذه القيم الأصيلة في المجتمع قيم غريبة مستوردة بكيفية إرادية أو مفروضة عبر مختلف وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، التي تريد تنويع الهوية الثقافية للشعوب وطمس معالم حضارتها وذلك تحت شعار أو غطاء العولمة، وفي هذه الحالة تتداخل القيم وتتصارع الثقافات وتختلط الأدوار على الأفراد، بخاصة منها الفئة الشابة، إذ يصعب عليهم إثر ذلك الإجابة على تلك الأسئلة المطروحة سالفاً⁽¹⁷⁾؛ فالدراسات التي جاءت حول أزمة الهوية أكدت على أن هذه الأخيرة تحدث عندما يكون هناك تغير اجتماعي متسارع، بحيث يترتب عنه صراع ثقافي قيمي يستلزم بناء هوية جديدة والتي كثيرا ما تكون هوية سلبية لكونها تقوم على رفض وإنكار كلي للهوية الأصلية⁽¹⁸⁾.

ونوضح، ضمن هذا الإطار، أنه عندما يوجد الفاعلون أمام نسقين ثقافيين متصارعين فإنه يمكن أن تصدر عن الفاعلين أشكالا من السلوكات المتغيرة القائمة أساسا على الاستسلام لاختراق العناصر الثقافية الأجنبية والجديدة عنهم التي يواجهونها، على أساس أن الفاعل يتقبل هذه الثقافة الأجنبية وينغلق فيها باعتباره مندجا في عالم مكتشف حديثا بالنسبة له، غير أنه من جانب آخر يحدث له انفصال عن ثقافته الأصلية وقد يصل به الأمر إلى أن يجد نفسه مبعدا أو مقصيا عنها.

هذا وفي ظل مواجهة الفاعل الاجتماعي لثقافة أجنبية التي هو ملزم على التكيف معها في مجتمعه، فإنه يطور وفقا لذلك إستراتيجيات هوياتية متنوعة والتي يمكن تصنيفها إلى نموذجين أساسيين هما:

أ- نموذج الانطواء: والذي يكون فيه سلوك الفاعل مرتكزا أساسا على الانطواء على الثقافة الأصلية والمحافظة عليها بطرق محددة.

ب- نموذج الانفتاح: حيث يشهد فيه سلوك الفاعل تبديلا أو تغيرا وذلك من خلال الانفتاح على الثقافة الجديدة، المتبناة من قبله، والاندماج فيها وهذا قصد اكتسابه

لخصائص تميزية يبي على أساسها هوية شخصية مميزة له في مجتمعه الذي يعاني فيه من أزمة الهوية⁽¹⁹⁾.

- التغير الاجتماعي:

يرى الباحث الاجتماعي "جي روشي" (G.Rocher) أن التغير الاجتماعي يتميز عن غيره من التغيرات غير الاجتماعية في أربعة صفات هي على النحو التالي:

أ- يعتبر التغير الاجتماعي ظاهرة عامة تمس أفراد عديدين بحيث تؤثر في أسلوب حياتهم وأفكارهم.

ب- إن التغير الاجتماعي يصيب البناء الاجتماعي أي أنه يؤثر في هيكل النظام الاجتماعي سواء منه الكل أو الجزء، فالتغير الاجتماعي المقصود هنا هو ذلك التغير الذي يحدث أثراً عميقاً في المجتمع بحيث يطرأ على المؤسسات الاجتماعية و النظام الاقتصادي والسياسي وما إلى ذلك.

ج- يكون التغير الاجتماعي محدداً بالزمن أي أنه يحدث ابتداء من فترة زمنية وينتهي بفترة زمنية معينة، و قياس التغير يكون إنطلاقاً من نقطة مرجعية في الماضي.

د- إن التغير الاجتماعي يتصف بالديمومة والاستمرارية.

و بهذا فإن التغير الاجتماعي بالنسبة للباحث "جي روشي" هو عبارة عن كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن ويكون دائماً وليس سريع الزوال، بحيث يمس فئات واسعة من المجتمع والتي يغير كلياً مسار حياتها⁽²⁰⁾.

يعتبر التغير الاجتماعي ظاهرة اجتماعية وأي نظرة للمجتمع تدل على أنه في تغير مستمر، فالتغير صفة ملازمة منذ القدم وحتى اليوم لكل المجتمعات على اختلافها سواء أكانت نامية أم متقدمة، والمجتمع بطبيعته متغير فهو يأخذ من الجيل السابق جوانب ثقافية ويضيف عليها تماشياً مع واقعه الاجتماعي ومتطلباته المستجدة، وقد تنبه المفكرون منذ القدم إلى ظاهرة التغير واعتبرها بعضهم حقيقة الوجود وأن كل موجود لابد أن يتغير، بمعنى أن التغير لا الثبات هو الدال على وجود الموجود⁽²¹⁾.

ولقد أشار الباحث "ألفين توفلر" (A.Toffler) في كتابه "صدمة المستقبل" إلى أهمية تعلم الإنسان كيفية التحكم في معدل التغير، سواء كان ذلك في نطاق شؤونه الخاصة أو الشؤون المجتمعية، وأستخدم "توفلر" مفهوم صدمة المستقبل أساساً ليصف من خلاله حالة المجتمع المترتبة عن سوء توجيه التغير ووضع الفرد في موقف يتطلب منه تحقيق التكيف إزاء تلك التغيرات المتراكمة والسريعة في مدة قصيرة.

ومن الواضح كما أشار " توفلر " أن صدمة المستقبل أصبحت على حد تعبيره تشكل مرضا واقعيا يسمى بمرض التغير حيث يعاني منه العديد من الأفراد، ولذلك فمن الضروري توجيه العناية إلى إعداد الأفراد وتعليمهم استعدادا للتكيف واستيعاب التغير ومواجهة صدمة المستقبل وامتصاصها، على أن تحول وضع المجتمع بأكمله إلى عالم جديد من خلال ارتفاع معدل التغير، من جهة، وسوء توجيه أفراد المجتمع، من جهة أخرى، يترتب عنه صدمة مستقبلية على نطاق واسع⁽²²⁾.

- تعريف العولمة:

إن العولمة تعني لغويا تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله⁽²³⁾، فالعولمة هي مصطلح معاصر حيث استعمله عدد من الباحثين في مختلف المجالات الاقتصادية، السياسية، الثقافية، كما تنوعت عبارات الباحثين في تعريفها باعتبار العولمة هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (Globalisation) والتي تعني الكونية، فهذا التعبير الإنجليزي مشتق من كلمة (Glob) والمقصود بها الكرة الأرضية و الكوكب الذي نحن نعيش فيه⁽²⁴⁾.

ويعرف الكاتب "تركي الحمد" العولمة بأنها: عبارة عن الزيادة المتنامية في وتيرة التداخل بين الجماعات والمجتمعات البشرية في العالم، هذا التداخل الذي يبدو أكثر وضوحا على الصعيدين الاقتصادي والإعلامي وإن كان لا يقل عن ذلك شأنًا في مجالات الثقافة والسياسة، إذ لم يعد ممكنا الحديث اليوم عن ثقافة أصلية أو نقية كاملة لهذه الجماعة أو تلك في ظل عملية التداخل المتسارعة بين الثقافات البشرية، كما لا يمكن الحديث أيضا عن حدود سياسية قادرة على الحماية المطلقة للدولة في عالم تحول إلى مساحة إعلامية واحدة بفضل ثورة المعلومات والاتصالات⁽²⁵⁾.

وجاء في تعريف الكاتب " أحمد أمين " للعولمة أن هذه الأخيرة تعني: عولمة حضارة أو ثقافة بعينها هي الثقافة أو الحضارة الغربية، ويقول بدون تمييز تدقيقي بين المفهومين إن الحضارة الغربية ليست حضارة إنسانية عامة بل هي تعبير خاص عن ثقافة أمة معينة أو ثقافة مجموعة محددة من الأمم، وصحيح أن هذه الحضارة قد توفر لها منذ زمن طويل، يرجع إلى ما يقرب خمسة قرون، وسائل فعالة مكنتها من فرض نفسها على الأمم الأخرى غير الأمة التي أنجبتها و لكن هذا وحده لا يجعلها تستحق وصف الإنسانية أو العالمية و لا يزيل عنها خصوصيتها⁽²⁶⁾، فالعولمة هي كذلك عبارة عن ظاهرة التوحيد الثقافي والاقتصادي التي يشهدها عالم اليوم مع عدم إغفال بقية النواحي السياسية والاجتماعية، غير أن التوحيد الثقافي والاقتصادي يبقى هو الظاهرة الأكثر بروزا، فالثورة التقنية الأخيرة التي عرفتها البشرية في وسائل الاتصال والمعلومات جعلت من العولمة ظاهرة واضحة للعيان أكثر من أي وقت مضى⁽²⁷⁾.

إن العولمة ترى في الهوية الثقافية الحصن المنيع الذي قد يعطل نجاحاتها المتواصلة في حالة ما تمسك الشعب أو الأمة بها واستند عليها في فضح الأعياب و أساليب العولمة وأخطارها، على اعتبار أن العولمة في طريقة تعاملها مع الهوية الثقافية تمارس سياسة الاختراق الثقافي الذي يستهدف النفس والعقل، أي أنها تستهدف الوعي لأنه حينما يتم سلب الوعي لأي شعب يصبح سهلاً أن تمارس الهيمنة على الهوية الثقافية الفردية أو الجماعية، بحيث يسهل بذلك على العولمة أن تحقق أهدافها على كل الأصعدة ما دام وعي الشعب قد تمت مصادرتة أو تعطيله من خلال تسطيح الوعي إزاء التدفق الصوري والإعلامي الذي تبثه مكنة الإعلام العولمية، والمتضمن إهمار و إثارة واستفزاز لكل الحواس والمدارك وبما يعطل العقل ويفتح العين وحدها لكي تمارس دور العقل، أي أن يتم جعل الصورة بمثابة المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد بمعنى أنها تصبح نظام وعي الإنسان بالعالم لأنها، أي الصورة، قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي تماماً مثلما تفعل العولمة الاقتصادية في تحطيم الحاجز الوطني والجمركي لكي تصل إلى كل الشعوب.

وهذا يكون بالإمكان القول بصغر العالم ومحدودية جغرافيته لأنه أصبح تبعاً لذلك أشبه بالقرية الكونية، ذلك لأنه قد صار في وسع البث من خلال الأقمار الصناعية أن ينقل المادة الثقافية الجديدة التي يراد لها أن تصل إلى المتلقي، أو بالأحرى تلك الصورة التي يراد ترسيخها في العقل الباطني للمشاهد، على أن يتمكن المرسل من إلغاء الحدود بين جغرافية ثقافة الشعوب والجغرافية الكونية بالشكل الذي يتم فيه تجسيد سياسة الاختراق الثقافي، وخصوصاً أن إمبراطوريات الإعلام العالمية التي تقود هذا الاختراق مسيطر عليها مما يتيح أن تكون مادتها التي يستلمها المتلقي أشبه بمادة الاستهلاك اليومي التي يتعود عليها لأنها ملونة ومصقولة بجمالية وإثارة⁽²⁸⁾.

إن الوضع الثقافي العالمي الراهن يكرس ثقافة العولمة التي هي في الواقع ثقافة الاختراق، ذلك الاختراق الذي لا يقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري بوجه عام بل إنه يسعى لتحقيق الانشطار في الهوية الوطنية القومية، ليس فقط على ما نعيش فيه من زمن بل يمتد صعوداً للأجيال القادمة من خلال النضج الثقافي لثقافة العولمة وإسقاط كل محاولة لتجديد الثقافة الوطنية القومية من داخلها بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها⁽²⁹⁾.

كما أن الغزو الثقافي الذي يتم في ظل عصر العولمة يمكن أن يعتبر حقاً غزو ثقافة وثقافة ولكن فيه أيضاً سمة نفي الثقافة أصلاً، ذلك أن الثقافة الغازية الصادرة عن أمة بعينها تتسم بعوائدها المستحكم للتفرد، أي لأية هوية، فهي تسحق هذا التفرد والتميز سحقاً، وهذا هو حجر الزاوية في نظرية الكاتب "جلال أحمد أمين" حول الثقافة حيث

يرى أن الهوية معناها في الأساس التفرد والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، والحال أن التقدم التكنولوجي يؤثر بطبيعته على الهوية الثقافية ذلك أن التكنولوجيا الحديثة على وجه الخصوص تكتسي القدرة الكامنة في أن تصبح أداة قهر من خلال ما تفرضه من زيادة في حجم النمطية (Standardisation) (30).

- العولمة و صدام الحضارات:

في ظل وضع دولي ضاغط و فوضى دولية عارمة و معطيات العولمة الجديدة نرصد مجموعة من الظواهر، حيث تشكل ظاهرة صراع الحضارات أكثرها و أهمها بروزا لكونها تعد من الظواهر المرافقة لما يسمى بالملاح الجديدة للعولمة، فهذا الوضع الجديد قاد مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم الخبير الأمريكي "صامويل هنتنغتون" (S.Huntington) في كتابه الشهير "صدام الحضارات" إلى طرح مشكلة الثقافة أو الحضارة في العالم من منظور جديد يؤكد أهميتها باعتبارها القضية المحورية في عالم اليوم وأن مستقبل العالم مرتبط بها (31).

يتحدث "هنتنغتون" عن غرب فريد بقيم خاصة فهو يرى أن محاولة تعميم هذه القيم يعد بمثابة فعل لا أخلاقي إذا ما أصبح مشروعا يستند إلى القوة والإكراه، ويذهب إلى أبعد من ذلك لكونه يدعو إلى ضرب من التجنيس الثقافي، فالقيم الغربية حتى ولو بناها مجتمع بمحض إرادته فإنه لن يحقق بذلك سوى تمزقا في هويته، ويضرب هنا "هنتنغتون" مثلا عن نموذجين لمجتمعين متميزين هما المكسيك وتركيا، فإذا كان الأمر كذلك فكيف ينجح التغريب بالإكراه وسياسة الضم في إطار العولمة، ذلك أن الغرب في نظره كان غريبا قبل أن يكون حديثا والحداثة لا صلة لها بالتغريب فالغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا.

و عليه فإن "هنتنغتون" قد استند على المنظور البنيوي المغلق للثقافة حيث أنه يبدو متأثرا إلى حد ما بالمنظور الكوني المغلق للنماذج المعرفية، فهو ينظر إلى الحضارات كنماذج مغلقة وأي حوار بينها هو حوار طرشان، وهذا من شأنه أن يخلق حقيقة الفردية وفرض عزلة جديدة بين الكيانات الثقافية، ليس محدها جغرافي كما هو الأمر في مذهب "ليفى شتراوس" بل هي عزلة وفردية قوامها موضوعي نابع من أن حوار الثقافات لا يغدو في النهاية أن يكون سوى حوار طرشان، أي بتعبير آخر أدق هو صداما بينها وأن الكونية ما هي إلا عبث وسخف.

وإذا كانت أطروحة "هنتنغتون" تؤسس لعالم متختم بالفردات فإنها، من جانب آخر، تسد أي ثغرة للرابطة الكونية، وذلك لأنه يعتبر الديمقراطية قيمة غربية خالصة وليست نظاما قابلا للتصريف، على أنه في ذلك لا يعتبرها حقا يتصل بحقوق الإنسان الكوني، هذا فضلا عن

أنه يعتبر الصراعات التي تخلقها المشاكل السياسية أو الاقتصادية أو العرقية أو الغرائزية صراعا بين الحضارات، و يقول في هذا الصدد: "إن المصدر الأساسي للزعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا إيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر للزاع سيكون مصدرا ثقافيا".

إن الوجه الآخر لصدام الحضارات الذي يبدو أنه خفي أو غير مقروء في أطروحة "هنتنغتون" هو ذلك التحذير السابق للأوان من مغبة التورط بأي شكل من الأشكال في الإحتكاك بالآخر فالغرب ليس عالميا، كذلك قال "هنتنغتون" إنه يرى أن أي احتكاك من هذا القبيل ينتج عنه قهرا ونوعا من الصدام، فهو أكثر إصرارا لتفاديه بأي ثمن، فالتأمل لمقاله يدرك إلى أي حد هو مذعور ويعاني من فوبيا الآخر، بل لعله رأى الغرب مستهدفا وأن أمريكا مهددة بأن تكون الدولة الغربية العظمى والأولى التي ستصبح غير غربية، إن "هنتنغتون" يدعوها إلى الانسحاب والاهتمام بشؤونها الداخلية، إنها بالتالي أطروحة تحذر أمريكا من مغبة الإقدام على أي خطوة بإتجاه الآخر، فهي رؤية تدعو إلى التميز والتفرد وليست تحريضا على السيطرة و العالمية، فهذا الوجه الذي تعرض للنسيان هو ما يفسر سر الحساسية الأمريكية و تنصلها الرسمي من أطروحة "صدام الحضارات"، إنها أفضل أطروحة حتى الآن تناقض السياسة الخارجية الحشرية الأمريكية في عصر العولمة.

و يمكن القول هنا إن أمريكا تشبعت بمفهوم التصادم الطبيعي بين الثقافات إلا أنها لم تقبل بحلول "هنتنغتون" العملية، حيث أهمها أن يتصالح الغرب مع نفسه وينغلق ثنائيا عن الخارج، وهذا موقف على سلبيته وانزوائه المتطرف هو أسلم للشعوب من انفتاح هيمني يجعل العالم يدفع ثمنا باهضا مقابل أوام الخدائ الأمريكية وأحلامها الأنوارية المتطرفة التي تختزل العالم كله في تاريخ واحد، فتاريخ العالم هو بهذا المعنى جزء من التاريخ الأمريكي⁽³²⁾.

- نتائج البحث:

لقد انتهينا إلى استنتاج حقيقة جوهرية تكمن في ثبوت إصابة الطلبة الشباب، الذين ينتمون على وجه التحديد إلى معهد الصيدلة العلمي، بأزمة الهوية لكونهم قد انسلخوا عن هويتهم الثقافية الأصلية وتبنوا في مقابل ذلك الهوية الثقافية الغربية، وذلك من خلال التخلي عن نمطهم الثقافي المحلي الجزائري الأصلي وتبنيهم لذلك النمط الثقافي الغربي الفرنسي الدخيل، الأمر الذي لم يحدث قط مع طلبة معهد الأدب العربي الشباب الذين هم أكثر تمسكا واعتزازا بهويتهم الثقافية، وهو ما أثبتته لنا جملة من المؤشرات التي قمنا بتوظيفها لتحليل فرضياتنا والموجزة في النقاط التالية:

- مشاهدة طلبة الصيدلة الشباب للقناة التليفزيونية الغربية، بـخاصة منها الفرنسية، ومتابعتهم لبرامجها الثقافية بصفة دائمة ومتواصلة، مع تبنيهم في ذات الوقت لاتجاهات

إيجابية إزاء كل ما تبثه من مادة ثقافية عبر قنواتها الفضائية المتنوعة، وعزوفهم من جانب آخر عن مشاهدة القناة التليفزيونية المحلية الجزائرية والنفور من كل ما تقدمه من برامج على اختلافها سياسية كانت تاريخية أو ثقافية.

- تفضيل طلبة الصيدلة الشباب مطالعة المؤلفات الغربية الفرنسية في مجال تخصصهم وخارجهم، وباللغة الفرنسية غير اللغة العربية، وهذا دوناً عن المؤلفات الجزائرية والعربية بشئ أنواعها، على أن ذلك قد بين لنا درجة تأثر هؤلاء الطلبة الشباب فكرياً وإلى حد كبير بالإنتاج المعرفي الغربي الفرنسي وثقتهم الشديدة بمستواه وميلهم نحو لغته الأجنبية.

- عدم تمسك طلبة الصيدلة بعاداتهم و تقاليدهم الجزائرية وخروجهم عن ممارستها في عصر العولمة، وتبنيهم حيالها موقفاً سلبياً يدعو إلى عدم التمسك بها لاعتبارها رجعية ومتخلفة لا تسير تطورات العصر الحاصلة على كامل الأصعدة.

- إحجام طلبة الصيدلة عن المشاركة السياسية الإيجابية وذلك من خلال عدم الإدلاء بأصواتهم، أثناء الانتخابات، حول القضايا القومية التي تتعلق بمصير ومستقبل المجتمع المشترك الذي هم جزء منه.

- تفضيل طلبة الصيدلة لذلك النمط المعيشي الغربي الفرنسي على حساب النمط المعيشي الجزائري، والنظر إليه على أنه نموذج مثالي للحياة العصرية السعيدة التي تتخللها المتعة والرفاهية بما فيها الحيوية والتجديد.

- تحييد طلبة الصيدلة استعمال اللغة الأجنبية الفرنسية كأداة اتصالية في تبادل الحديث الشفهي، واعتبارها جديرة في أن تحتل مكانة سامية كلغة رسمية أكاديمية تستعمل في تلقين وتلقي الدروس بالجامعة دوناً عن اللغة العربية.

- عدم أداء طلبة الصيدلة الشباب لإحدى الشعائر الدينية المنحصرة في العبادة قد كشف عن ضعف مستوى التدين عندهم، واتخاذهم لموقف سلبى اتجاه التحلي بمستوى تدين مرتفع، حيث تبلور هذا الموقف في زمن العولمة الذي تحكمه المادة وتطغى فيه على الجانب الروحي، ويوصف فيه الدين الإسلامي بالرجعية والأصولية المتطرفة والتعصب.

- متابعة طلبة الصيدلة للموضة الغربية المبتكرة في مجالي الألبسة والحلاقة، وذلك من خلال تسابقهم وتسارعهم لاقتناء ألبسة الموضة الصادرة عن الغرب حتى وإن كانت باهظة الثمن ولا تتوافق قط مع قيمهم الخلقية والدينية في كونها غير محتشمة ومهذبة، مع التفاخر والتباهي في محاكاة السلوكات الغربية التي توجهها وتحكمها جملة من القيم المادية الاستهلاكية و التحررية الفردية وتبنيهم لها.

- استخدام طلبة الصيدلة لتكنولوجيا الانترنت لغرض أساسي وأولي ينحصر في التقرب أكثر من العالم الغربي والتعرف عليه، باختصار الزمن والمسافات، والتواصل معه بكل حرية قصد الإطلاع على ثقافته بخاصة منها ما يتعلق بالجمال الفني، وذلك من خلال استعمالهم بكثرة للمواقع الإلكترونية الغربية، وشعورهم وفقا لذلك بأنهم قد أصبحوا شبابا عالميين متحررين وأن حياتهم قد عرفت تغيرا كبيرا بعد استخدامهم لهذه التكنولوجيا الاتصالية الخارقة و المغربية.

- قبول طلبة الصيدلة المهجرة إلى الدول الغربية عند أول فرصة سانحة قد كشف عن مدى صعوبة اندماج هؤلاء الطلبة الشباب في مجتمع الانتماء و شعورهم في ظلهم بأنهم أعضاء مغتربين عنه، حيث يشكل اتخاذ قرار المهجرة إلى الدول الغربية أقصى حالات الشعور بالاغتراب، نظرا لما تحمله المهجرة في ثناياها من معنى عدم الشعور بالانتماء إلى الذات و التطلع إلى الانفصال عنها في سبيل الانتساب إلى الآخر و الارتباط به كعضو منه.

كما استنتجنا، من جانب آخر، أن معهد الصيدلة ذاته لم يكن له في واقع الأمر تأثير فعلي في طلبته الذين ينتمون إليه في دفعهم إلى الانسلاخ عن هويتهم الثقافية وعدم التثبيت بها بشدة في ظل عصر العولمة الذي يعيشونه، و أن العامل الحقيقي المؤثر إلى حد كبير وبشكل مستمر في إصابة طلبة الصيدلة الشباب بأزمة الهوية يكمن في عدم اضطلاع ذلك النسق العائلي الذي هم أعضاء فيه بأداء وظيفة التنشئة الاجتماعية المنوطة به على أكمل وأحسن وجه طبقا للهدف المحوري المتوخى من ورائها، والمنحصر في السهر على تطبيع النشء بالنمط الثقافي الأصلي للنسق الاجتماعي العام، المتمثل في المجتمع الجزائري الذي هو جزء منه، وذلك تحصينا لهويته الثقافية من خطر الانحلال و الانسلاخ المهدق بها في عصر العولمة وتحدياته، وهو ما لم يتجسد بذلك في هؤلاء الطلبة الأبناء، من معهد الصيدلة، الذين أصيبوا بأزمة الهوية بفعل تأثير تلك التنشئة الاجتماعية الغير السوية والصالحة عليهم.

هذا و نفس الاستنتاج ينطبق كذلك على معهد الأدب العربي الذي لم يكن له هو أيضا تأثير بشكل أو بآخر في طلبته الشباب، الذين يدرسون ويتفاعلون فيه، في جعلهم أكثر تشبها وافتخارا بهويتهم الثقافية التي لم ينسلخوا عنها مطلقا في عصر العولمة، حيث يرجع العامل الحقيقي المؤثر عليهم في ذلك إلى تلك التنشئة الاجتماعية السوية والصالحة التي تلقوها في إطار المؤسسة العائلية، هذه الأخيرة التي حرصت على تربية وتنشئة أبنائها الأعضاء فيها على النمط الثقافي الأصلي لمجتمعهم الجزائري الذي ينتمون إليه وربطهم به منذ النشأة، إذ يسود هذه المؤسسة الاجتماعية العائلية، إن صح التعبير، مناخ متوافق

ومنسجم بين الأولياء والأبناء في تمسك الطرفين بأصولهم الجزائرية واعتزازهم البالغ بانتمائهم الثقافي والحضاري.

وتوصلنا كذلك إلى استنتاج محوري آخر يكمن في ثبوت تأثير الأصل الجغرافي للوالدين في تعرض الطلبة الشباب للإصابة بأزمة الهوية إلى حد كبير، على أساس أنه قد تبين لنا بأنه قد كان لذلك الأصل الجغرافي الذي ينحدر منه الأولياء تأثيره عليهم في كيفية تنشئتهم الاجتماعية لأبنائهم الطلبة، وهو ما جعلنا بالتالي نستنتج أن الطلبة الشباب قد خضعوا، ضمن النسق العائلي الذي هم أعضاء فيه، إلى غمطين متعارضين ومختلفين من التنشئة الاجتماعية ينحصران أساسا في:

أ- غمط التنشئة الاجتماعية الحضرية،

ب- غمط التنشئة الاجتماعية الريفية.

هذا فضلا عن أن الطلبة الأكثر معاناة من أزمة الهوية هم أولئك الذين تلقوا تنشئة اجتماعية حضرية وذلك باعتبارها تنشئة غير سوية وصالحة، حيث لم ينجح ذلك النسق العائلي في أداء وظيفته الاجتماعية تلك بشكل حسن تحت تأثير الموقع الجغرافي الحضري عليه والذي هو في تفاعل واحتكاك معه، وذلك نظرا لما يطبع هذا الوسط الجغرافي الحضري من ميزات خاصة ينفرد بها من حيث أنه وسط تسوده نظرة حضرية تجمد وتعظم الآخر، المتمثل في المجتمعات الغربية، وتخط من قيمة الذات، المتمثلة في المجتمع الجزائري، والتي تشكل في قدراتها العلمية والثقافية وكذا البشرية، مما يجعله مفتحا أكثر على الثقافات الغربية ومتأثرا بها إلى حد تبنيه لقيمها وأنماطها الفكرية والسلوكية المبنقة عنها.

وقد كان أيضا للموقع الجغرافي الريفي بدوره تأثير بالغ على ذلك النسق العائلي في تنشئته لأبنائه الطلبة تنشئة اجتماعية سوية وصالحة، والتي تمخض عنها طلبة شباب صالحين متشبثين بشدة بهويتهم الثقافية يغمرهم الاعتزاز بها في زمن العولمة الذي يعيشون فيه وهو ما يجعل بذلك من غمط التنشئة الاجتماعية الريفية إيجابيا، بحيث يرجع ذلك أساسا إلى خصوصيات هذا الوسط الجغرافي الريفي، باعتباره أكثر ارتباطا بالنمط الثقافي الأصلي للمجتمع الذي هو جزء لا يتجزأ منه، حيث تتحدد الملامح والخصائص النمطية للمجتمع الريفي في كونه مجتمعا محافظا على أصالته، صغيرا ومتجانسا يربط أعضائه شعور قوي بالتضامن، ويسيطر فيه الضمير الجمعي على فكر وسلوكات أفرادهم إذ يدعم هذا الأخير الروابط بين الأجيال، ويمارس قوته القهرية على الأفراد للمحافظة على تجانس وانسجام النسق الاجتماعي الريفي حتى يزداد بالتالي تمسكه بأصوله الثقافية والحضرية وببذاته لذلك النمط الثقافي الغربي الدخيل وعدم تبنيه.

المراجع

- (1) معن خليل عمر وآخرون: المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، 1992، ص.286.
- (2) محمد عابد الجابري: مسألة الهوية، العروبة و الإسلام و الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1995، ص.148.
- (3) علي حسين شبكشي: نظرية بلا منظر، جدة، 2001، ص.63.
- (4) عبد الإله بلقزيز: " ندوة العرب و العولمة "، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص.316.
- (5) محمد مسلم: خصوصيات الهوية و تحديات العولمة، دار قرطبة للنشر، ط1، الجزائر، 2004، ص. 66، 71.
- (6) محمد سعود قطام السرحان: الصراع القيمي لدى الشباب العربي، دراسة حالة الأردن، عمان، 1994، ص.66.
- (7) نفس المرجع، ص.69 .
- (8) علي ليلة: الشباب في مجتمع متغير، تأملات في ظواهر الإحياء و العنف، د.م.ج، الإسكندرية، 1995، ص. ص. 188، 189، 192.
- (9) مصباح عامر: التنشئة الاجتماعية والسلوك الإنحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، دار الأمة للنشر، ط1، الجزائر، 2003، ص.ص.38-43.
- (10) مصطفى بوتفنوش: العائلة الجزائرية، ترجمة أحمد دمري، د.م.ج، الجزائر، 1984، ص.28.
- (11) Bénéton 1975, in Denys Cuche, La notion de culture dans les sciences sociales, ed. la découverte, paris, 1996, p.8.
- (12) Tylor 1832-1972, in Denys Cuche, Ibid., p.16.
- (13) غيث محمد عاطف: علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص.65، نقلا عن معن خليل عمر و آخرون، مرجع مذكور سابقا، ص.177.
- (14) كلا يد كلا كهون: الإنسان في المرأة، ترجمة شاكراً مصطفى سليم، بغداد، 1964، ص.71.
- (15) Ruth Benedict 1887-1948, in Denys Cuche, Op.cit, p.35.
- (16) قباري محمد إسماعيل: علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، دار المعارف، الإسكندرية، 1982، ص.ص.522، 529.
- (17) محمد مسلم: مرجع مذكور سابقا، ص.ص.50-51.

- (18) Camillerie et Al: Stratégies identitaires, p.u.f, 1990, p.179.
- (19) Geneviève Vinsonneau: Culture et comportement, Armand colin, paris, 2000, p.131.
- (20) Guy Rocher: Le changement social, introduction à la sociologie générale, paris, 1968, p.p.19-22.
- (21) محمد الدقس: التغير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق، دار مجدلاوي للنشر، ط2، عمان الأردن، 1996، ص.13.
- (22) مريم أحمد مصطفى و آخرون: التغير ودراسة المستقبل، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص.382.
- (23) طلال عتريس: " العرب و العولمة "، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1998، ص.297.
- (24) أحمد صدي النجاتي: " العرب و العولمة "، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1998، ص.62.
- (25) تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، نقلا عن حسين شبكشي، مرجع مذكور سابقا، ص.110.
- (26) جلال أحمد أمين: العولمة، دار المعارف، القاهرة، 1998، ص.ص.8، 39، نقلا عن جورج طرايش، من النهضة إلى الردة، تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقى، ط1، بيروت، 2000، ص.151.
- (27) علي حسين شبكشي: مرجع مذكور سابقا، ص.ص.82، 108.
- (28) عبد الإله بلقزيز: " العولمة و الهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة "، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 229 مارس، 1998، ص.95.
- (29) جلال أحمد أمين: " العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث "، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد 234، 1998، ص.67.
- (30) نفس المرجع، ص.ص.155-158.
- (31) صامويل هنتنغتون: صدام الحضارات، نقلا عن مجلة المستقبل العربي، مرجع مذكور سابقا، ص.35.
- (32) إدريس هاني: حوار الحضارات، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2002، ص.ص.114-118.